٢٠ رجل يقرأ الغيب !

استمر الوفد يحكم . . بعد أن هدد تشرشل باستخدام القوة ضد فاروق مرتين إذا فكر فى عزل النحاس .

وأخذ الأمراء يعربون عن تأييدهم للملك بإقامة الحفلات الساهرة فى بيت الأميرة منيرة حمدى ، وسراى علاء الدين مختار نجل الأميرة نعمت عمة الملك . . وفى قصر الأمير طوسون وشويكار . . إلخ وهى حفلات كان هدفها تسلية الملك والترفيه عنه ، حتى ينسى ماجرى له بواسطة كيلرن ! !

وفى نفس الوقت حرص فاروق على أن يؤدى الصلاة فى المساجد ليكتسب التأييد الشعبى .

ويلتقى كيلرن بزميله تاك الوزير الأمريكى المفوض فى مصر الذى حل محل ألكسندر كيرك يوم ٣ سبتمبر ١٩٤٤ .

وما جرى بينهما خلال ٦٠ دقيقة بالإسكندرية عبر عنه تاك . .

قال :

« استعرضنا خلالها المسائل ذات الأهمية السياسية العامة فى مصر . وأبدى اللورد كيلرن موقفاً وديًّا يتسم بالصداقة بصورة أكبر من أى مرة سبق أن لقيني فيها .

ويبدو أنه كان مستعدًّا للحديث بصراحة كبيرة .

قال لى إنه على وشك السفر لقضاء إجازة لمدة شهر فى جنوب أفريقيا .

وقال :

إن العلاقة بين القصر والوفد تمر بهدنة مؤقتة ، ولكن لم تظهر عليها بوادر تحسن حقيقى . ويبدو أن الملك (فاروق) لا يترك فرصة لتشويه سمعة حكومة النحاس .

ورئيس الوزراء – بدوره – لا يبدى المهادنة تجاه العرش .

ومن الصعب التنبؤ بطول الفترة التى ستدوم عليها هذه الحالة .

ويشعر السفير البريطانى بأنه من الممكن أن يحدث انفجار بين الجانبين فى أى لحظة .

سألت السفير عما إذا كان ممكناً فى رأيه قيام شكل من أشكال الحكومة الائتلافية مكان الحكومة الحالية ، وتعمل بصورة أكثر كفاءة ، فاعترف بأن هذه فكرة عملية ولكن المشكلة تكمن فى العثور على زعيم كفء . وعزا اللورد كيلرن الافتقار الكامل إلى الموهبة السياسية السليمة فى مصر إلى وضع قائم منذ عشرين عاماً ، فلم يظهر فى الحلبة سوى قلة من الرجال ذوى القدرة السياسية الحقيقية . . هذا إن وجدوا .

وقبل الحرب السابقة وفى أعقابها مباشرة كانت هناك شخصيات بارزة فى الحياة السياسية بالبلاد ، وكان هؤلاء أتراكاً أكثر منهم مصريين ، وكانوا مؤهلين بالتدريب والخبرة لأن يصبحوا « شخصيات سياسية » .

وهذا الجيل اختفى بسرعة ، وحل محله مسئولون من دماء مصرية يفتقرون بصورة كاملة إلى الخبرة والخلفية اللازمين للحكم .

ولسوء الحظ فإن استقامة عدد من الشخصيات السياسية حاليا موضع شك .

وأشك أن تكون مصر الحديثة تعرضت من الناحية الحكومية لأسوأ مما تتعرض له اليوم من خدمة حكومية سيئة .

والمشاعر السائدة لدى كثير من المواطنين والمسئولين البريطانيين الباقين بمصر هى مشاعر الكراهية والإحراج ، لاضطرار الحكومة البريطانية لأسباب سياسية نفعية – إلى مساندة نظام حكم يعرض نفسه بدرجة متزايدة لتهم سوء الإدارة والفساد .

ومن المشكوك فيه الوصول إلى ائتلاف أو شكل آخر من أشكال الحكومة يخدم البلاد بصورة أفضل .

ويمكن القول بأن أية حكومة تخلف الحكومة الحالية لن تستطيع أن تفعل ما هو أسوأ ويسخر تاك قائلاً :

« فى أثناء وجودى فى الإسكندرية انتهزت الفرصة لتجديد صداقات قديمة مع أشخاص المجموعة التجارية البريطانية ذات النفوذ القوى .

وناقشوا الموقف أمامى بأقصى درجات الصراحة ، ولم يبذلوا أى جهد لإخفاء قلقهم لما يمكن أن يحدث فى مصر فى أعقاب توقف الحرب فى أوربا .

وأجمع هؤلاء الرجال ذوى الرأى على أن الأمانة فى عالم الأعمال بمصر وصلت إلى أدنى معدل لها وأن الرشوة والفساد بين المسئولين بالحكومة أصبحا سائدين بصورة متزايدة .

ولا يمكن إنجاز أى شىء بدون « صديق بالديوان » أو فى الدوائر الحكومية .

ولم أجد بينهم من يؤيد السفير البريطانى سوى قلة .

وقد اعترفوا بأن المساندة البريطانية لحكومة النحاس ضرورية خلال الأعوام الحاسمة الماضية .

ولكنهم يشعرون أن الوقت حان للقيام بإجراء عنيف ، ولتقديم تحذير إلى رئيس الوزراء وزملائه للقيام بعملية تطهير داخلية كاملة .

ويبدو أن الرأى السائد بينهم أن اللورد كيلرن بقى فى مصر أطول من اللازم . وأنه عمر أطول من الفترة التى كان فيها مفيداً .

واستنكروا استمرار العلاقات السيئة بين الملك والسفير البريطانى ، وهم يشعرون أن الخلافات لا يمكن تسويتها مطلقاً ، طالما تحولت إلى خلافات شخصية بهذه الكثافة .

وفى الوقت الذى لا أرغب فيه فى تقديم صورة بالغة السواد للحياة السياسية المصرية الراهنة فإننى أعترف بدرجة معينة من التشاؤم - ولا أقول بالقلق إزاء ما يخبئه المستقبل لهذا البلد .

ويحس المرء بتيار خفى من المشاعر بين المصريين من جميع الطبقات ، يكاد يذكر بصورة مشئومة بردود الفعل التى سادت هذه البلاد فى عام ١٩١٩ .

إن شعوراً وطنيًّا قويًّا يسود البلاد ، وقد يجد له متنفساً على شكل أو آخر قبل مرور وقت طويل .

ويبدو أن الخطر يكمن فى أن الحكومة الحالية غير قادرة على التعامل بحزم أو بكفاءة مع القلاقل الداخلية .

ولم يسبق أن شهدت هذا الافتقار التام للواقعية مثل ردود فعل المسئول المصرى العادى إزاء هذه الحرب العالمية » .

* * *

. . . فى نفس اليوم الذى التقى فيه كيلرن بالوزير الأمريكى المفوض كان الملك فاروق يستقبل النحاس فى محاولة لتحسين العلاقات مع القصر .

بدأ الملك بأن عنف النحاس حول عدة موضوعات ، منها : فشل رئيس الوزراء بصفته

وزيراً للخارجية أيضاً فى الحضور مع وزرائه حفل إفطار أقامه الملك تكريماً لبعض الأعيان المصريين والدبلوماسيين الممثلين لدول الشرق الأوسط المعتمدين فى مصر.

واتهم الملك النحاس باشا بالفشل فى الدفاع عن مصالح مصر خلال معاملاته مع البريطانيين.

وعاد النحاس إلى الإسكندرية فى حالة اكتئاب عميق، كما قال للسفير البريطانى. ومنحه كيلرن ما أمكنه من تشجيع ثم قال للندن:

(لا أرى إمكانية لتحسين العلاقات بين القصر.. والوفد).

والغريب أن كيلرن بعد ذلك ضاعف حالة الاكتئاب عند النحاس، وحمله هموماً جديدة.

لفت نظره إلى بعض الإجراءات التى بحثها البرلمان المصرى، وأصبحت تعد فى حكم القوانين التى تؤثر للغاية على مستقبل المقيمين البريطانيين والأجانب الآخرين فى مصر.

ذكر كيلرن واقعة عزل الأجانب من بلدية الإسكندرية.

وقال للنحاس:

– إن هذه المدينة التجارية العظيمة تدين بتقدمها الواسع إلى مساهمة العناصر الأجنبية التى أقامت فيها.

وهذه العناصر يجب أن يسمح لها بصوت فى إدارة المدينة.

ولفت السفير نظر رئيس الوزراء إلى قانون محو الأمية الذى صدر أخيراً، وما قد يحدثه من أثر على المؤسسات الأجنبية فى مصر.

وأخطر النحاس باشا بوضوح أن آثار هذه الإجراءات تراقب بدقة، وتخطر بها الحكومة البريطانية.

وهى لن تتردد – إذا لزم الأمر – فى اتخاذ إجراءات لحماية الحقوق المشروعة لرعاياها فى مصر.

وقال السفير لرئيس وزراء مصر:

– إن الانطباع السائد لدى المصريين أنه عندما تتوقف المعارك فى أوربا فإن الحرب ستكون قد انتهت فيما يتعلق بمصر.

ولكن هذا بعيد عن الموضوع، فما أن تستسلم ألمانيا حتى تركز بريطانيا العظمى انتباهها إلى الجهد الحربى ضد اليابان.

ولذلك سيكون من الخطأ افتراض أن إجراءات الحرب وقيودها فى مصر ستخفف فوراً

والعكس صحيح . لأنها قد تزيد .

وباختصار فإن السفير أخطر النحاس باشا بأنه لم «يخفت اهتمام بريطانيا المستمر بمصر» .

ولأن اللورد كيلرن يتأهب للرحيل لمدة ٦ أسابيع ، ليقضى إجازته فى جنوب أفريقيا فقد رآها فرصة ليسمع رئيس الوزراء إنذاراً عن سلوك الحكومة المصرية خلال غيابه .

قال للنحاس باشا إن الحكومة البريطانية «هيئة تضامنية» وإن سياسة حكومته تجاه مصر ستبقى على ما هى عليه بكل دقة دون اعتبار لمن «يمسك الدفة» خلال غيابه المؤقت .

ويسافر كيلرن إلى جنوب أفريقيا يوم ١٢ سبتمبر ، ويتولى منصب السفير بالنيابة مستر تيرينس شون الوزير المفوض .

وفى أواخر عهد النحاس كان فاروق يصلى فى المساجد الكبرى . . ليبدو بمشهد الملك التقى ! !

ولاحظ فاروق . . على امتداد الطريق وجود لافتات تدعو له وللنحاس . . وتهتف له وللنحاس ، وأن الناس يقولون فى نفس الوقت عاش الملك والنحاس .

واستدعى فاروق محمود غزالى بك مدير الأمن العام – فى الطريق فى أثناء مروره . . وطلب منه نزع اللافتات التى تشرك معه رئيس وزرائه . . ! !

ونفذ محمود غزالى الأمر فى أثناء صلاة الملك ! واستدعى حسنين باشا غزالى بك وطلب إليه أن يكون الهتاف دائماً للملك وحده . . وأبلغ مدير الأمن ذلك لمأمورى الشرطة دون أن يخطر وزير الداخلية . .

وعرف النحاس بالأمر فقرر عزل غزالى بك . . ثم استبدل قرار العزل بالوقف . . تماماً كما حدث فى مسألة قطع العلاقات مع فيشى فى وزارة سرى . . فقد أوقفت العلاقات . . ولم تقطع .

وقد ظل غزالى بك موقوفاً عن عمله حتى أقاله الوفد .

* * *

وكان الموقف العسكرى قد تغير لصالح الإنجليز .

. . بدأ غزو الحلفاء لفرنسا .

والألمان ينسحبون من الاتحاد السوفيتى . .

ولم يعد هناك جندى ألمانى . . أو إيطالى واحد فى أفريقيا .

* * *

وجدت أزمتان جديدتان تافهتان بين الملك والنحاس . .

ولقد شبه مستر شون الوزير البريطانى المفوض هاتين الأزمتين بأنهما : « لعب عيال » . . أو لعب أطفال !

فتح الملك فاروق - فى محاولة منه لاكتساب الشعب - قصر عابدين ليدخله الناس فى رمضان يستمعون إلى تلاوة من آى الذكر الحكيم . . ويتناولون المرطبات !

وطلب فاروق من فؤاد سراج الدين وزير الداخلية والشئون الاجتماعية - وتتبعه الإذاعة - أن تذاع تلاوة القرآن الكريم من قصر الملك . . فرفض الوزير .

ولم تنته الأزمة الأولى بل أسرها فاروق فى نفسه .

وجدت الأزمة الثانية عندما خرج فاروق للصلاة فى المساجد أيام الجمع .

والملاحظ أن فاروقاً بعد حادث ٤ فبراير لجأ لهذه الحيلة .

بعد ٤ فبراير مباشرة صلى فى مسجد القوات الجوية قرب ألماظة .

وبعد ٣ أيام من سفر كيلرن إلى جنوب أفريقيا لقضاء إجازته السنوية ذهب الملك ليصلى . . وتقع أزمة محمود غزالى مدير الأمن العام ! !

وكان غزالى رجل الإنجليز . . قبل أن يكون رجل الملك .

ويتدخل تيرنيس شون فى الأزمة . . ويقوم بمهمة الوساطة أو الحكم بين ملك مصر ورئيس وزراء مصر ، تماماً كما فعل اللورد كيلرن من قبل .

والفرق بين كيلرن وشون هو أن « لكل شيخ طريقة » . . ولكل سفير طريقته فى الوساطة وعلاج الأزمات الوزارية فى مصر .

الأزمة وقعت يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٤ وهو يوم الجمعة اليتيمة من رمضان . .

وقبل أن يظهر قرار وقف غزالى بك فى الصحف بعث شون برسالة شخصية إلى النحاس ، تضمنت نداء بالامتناع عن أى قرار أو عمل متعجل .

وقالت الرسالة :

« سيكون من الصعب على حكومتى أن تتفهم أو تتحمل وجود أزمة سياسية فى مصر فى هذا الوقت الحرج » .

وقالت الرسالة :

« إن شون فسر ملاحظة الملك عن اللافتات بأنها أمر ملكى فأزالها » .

ويقصد شون من ذلك أن غزالى بك مدير الأمن العام معذور . لأن الملك طلب إزالة اللافتات وهو يدخل المسجد ، وأصر على ألا يراها فى الطريق عند عودته إلى القصر .

وخلال صلاة الجمعة كان مطلوباً من غزالى بك أن يزيل اللافتات وقد فعل .

ويجتمع شون بحسنين فيقول رئيس الديوان الملكى :

– إن رئيس الوزراء لا يفوت فرصة للتقليل من شأن الملك فى عيون شعبه .

ويكتب شون إلى لندن يسأل وزارة الخارجية البريطانية رأيها فى الأزمة .

واسلوب شون يختلف تماماً عن أسلوب كيلرن .

إنه يقول لحكومته .

« علينا أن نبعد أنفسنا – قدر الإمكان – عن إطار المساومات الشرقية » .

ويقول لها أيضاً :

« إنى أشك فى إمكانية ، أو وجوب ، ممارسة مزيد من الضغط على القصر ، أو النحاس » .

ومن هذا كله يتضح موقف السفارة : . . إنها لا تريد التدخل فى الأزمة .

وينصح شون حكومته بذلك .

ويجىء رد لندن . .

. . إن وزارة الخارجية البريطانية تطالب شون بالابتعاد عن الموضوع من الناحية الرسمية ، وأن يوجه جهوده للتسوية بالطرق الشخصية ، وأن يسعى للصلح بين الملك والنحاس بطريقة غير رسمية !

ويعرف النحاس أن بريطانيا حددت موقفها من الأزمة . وأنها تراها مسألة داخلية لا شأن لبريطانيا بها .

يعرف الوفد ذلك فيثير فى كل مكان أن تيرنيس شون الوزير البريطانى المفوض القائم بأعمال السفير « يعادى الوفد » .

وتسمع الحكومة البريطانية بذلك فتبلغه لشون .

وواضح من هذا كله أن الوفد كان يريد فى ذلك الوقت كيلرن ليتدخل لصالحه .

ويستمر شون فى الوساطة بين القصر والوفد . . على مسئوليته الخاصة . . للوصول إلى حل وهو : هل يفصل غزالى ، أو يستمر موقوفاً ، أو يعاد تعيينه ، أوينقل إلى منصب آخر ! ! !

كتب شون يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤ إلى وزارة الخارجية :

١ – حضر اليوم حسنين باشا لتناول الشاى مع المستشار الشرقى والتر سمارت ومعى .

« وتحدثت معه موضحاً له أنى أتصرف هكذا على مسئوليتى الشخصية ، وأن الحكومة البريطانية لا تنوى إقحام نفسها فى تفاصيل هذا الأمر » .

رد حسنين بقوله : « إنه لم يكن يرغب فى الاصطدام بالحكومة . لكنه أكد وجوب

إرضاء الملك فاروق ، وإنه لن يقبل أقل من إعادة تعيين غزالى لتسوية الموضوع ، فإذا تم هذا شريطة ألا يقال شيء عن نقل غزالى فى المستقبل إلى منصب آخر ، فإنه سيكون على استعداد – بعد انقضاء فترة معقولة لمناقشة أمر النقل مع الحكومة « على أساس فنى » أى دون الإشارة إلى حادث المسجد .

٢ – « سأبلغ أمين عثمان بأسرع وقت ممكن بهذا الحديث مع حسنين ، بحيث يتضح للنحاس باشا أننى فعلت كل ما فى وسعى لحمل السراى على قبول حل . . » .

« وكل ما اقترحه هو أن يتعاون الطرفان لإيجاد مخرج للمسألة » .

وإذا كان كيلرن فى جنوب أفريقيا فإن الاتصالات بين السفارة البريطانية فى القاهرة ووزارة الخارجية فى لندن تدور حول السفير الغائب وهل يجب أن يستشار . . أم يستمر فى قضاء إجازته .

* * *

وفى كل الأحوال تثار فكرة هامة . وهى أن السفير البريطانى حتى فى أثناء الإجازة يجب أن يكون له رأى فى بقاء النحاس أو اختيار رئيس وزراء مصر الحديد . .

ولا يوجد دليل على ذلك أكثر من هذه البرقية التى بعث بها شون – القائم بالأعمال – فى الخارجية البريطانية فى لندن يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٤ .

١ لم أبلغ جناب السفير بالتطورات بعد أن طلبت من مستر هوفاير إحاطته بالموقف . . ولا أريد أن أشغله بما لا لزوم له وهو فى إجازته .

« ولكن بما أن إمكانية تغيير الحكومة لا يمكن استبعادها فإنى أشعر أنه قد يرغب فى إحاطته بالموقف الحالى على ألا يتم عن طريق . وربما تحدوه رغبة فى استشارته عن رئيس الوزراء الجديد الذى سيتعين عليه التعاون معه » .

٢ – أعتقد أن أحمد ماهر سيكون مقبولا لديه ، وإن كان وضع الوفد فى المعارضة بشكل مباشر فيه بعض العيوب وهو « عداء الوفد » فى حين أن هناك إغراء إيجاد حكومة انتقالية محايدة ، للوقوف على الحلبة ، ريثما يتم إجراء انتخابات جديدة .

وأعتقد أن كلا من وزير الخارجية البريطانى – والسفير اتفقا أخيراً على أنه ليس من المرغوب فيه تنصيب أحد موظفى القصر كرئيس للوزراء . . » .

« ولا أشك فيما إذا كان الملك فاروق سيعين حسين سرى ، كما أن من الصعب أن نرى من هو القادر على إدارة دفة أمور حكومة محايدة من شأنها أن تحصل على التأييد الشعبى . . أو من هو القادر على إبقاء كل من الوفد وكذلك المعارضة – عند حدودهما » .

وهناك عيوب كثيرة لو تدخلنا أكثر من اللازم فى عملية تشكيل الوزارة ، وبالتالى تسرعنا فى أن نرتبط اكثر من اللازم باية حكومة جديدة .

٣ – « وسيلة الاتصال المعتادة مع اللورد كيلرن تتم من خلال قوات اتحاد جنوب أفريقيا بشفرتهم المعتمدة » ، ولكنى لا أريد استخدام هذه الطريقة فى هذا الموضوع .

إذا كان ممكناً تفادى ذلك فهل تتكرم بالنظر فى صواب إبلاغ هذه الرسالة إلى سعادة اللورد عن طريق المندوب السامى للمملكة المتحدة فى جنوب أفريقيا » .

* * *

ولكن سير الأحداث كان أسرع مما توقع شون . . أو السفير البريطانى .

وبعد ٣ أسابيع من الأزمة بدأ الملك يتخذ الخطوة الأولى . . الحصول على إذن السفارة لعزل النحاس . .

برقية رقم ١٩٩١

بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٤٤

من مستر شون

إلى وزارة الخارجية

عاجل جداً .

١ – طلب حسنين منى ومن المستشار الشرقى أن نزوره مساء أمس . وبينما نحن على وشك التوجه إليه وصل لمقابلتنا أمين عثمان – الذى كان قد فرغ لتوه من الاجتماع بحسنين .

٢ – قال أمين عثمان إنه وجد حسنين غير مستعد لأى شىء سوى إعادة الغزالى دون قيد أو شرط .

أشرت إلى أن حسنين – فى الوقت الذى يصر فيه على ذلك – تعهد فى محادثاته معى أن يبحث بعين العطف نقل الغزالى لأسباب فنية بعد إعادته لمدة شهر أو شهرين.وذكرت أمين عثمان بأنى أبلغته بهذا الاقتراح فى ٢٩ سبتمبر الماضى .

وأوضحت أنه – نظراً للتعليمات التى لدى – فإنى لا أستطيع أن أرغم حسنين على قبول مايريده النحاس .

٣ – قال أمين عثمان إن النحاس لن يقبل الحل المذكور وسيوافق فقط على إعادته ونقله فى وقت واحد . وأوضحت أنى قلت من قبل إن القصر لن يقبل هذا الحل .

٤ – قال أمين عثمان عندئذ إنه إذا كان الرفض سيؤدى إلى أزمة كبرى وإقالة الوزارة فإنه يود إبلاغ النحاس ذلك .

وكان الوفديون قد اتهموا أمين عثمان عام ١٩٣٧ بأنه منع النحاس من اتخاذ إجراء وقائى حتى تجرى مناقشات مع القصر . فقام القصر ، بطرد الحكومة فجأة بين عشية وضحاها . وهو – أمين عثمان – يريد أن يحمى نفسه ويحمينا من اتهام مماثل هذه المرة .

قلت إنى لا أستطيع أن أقول ماذا يمكن أن يفعل القصر . ولكن ليس هناك شك فى أن الموقف دقيق . والواقع أن سبق أن حذرته – أى أمين عثمان – أكثر من مرة لخطورة الموقف .

٥ – أبلغت حسنين بزيارة أمين عثمان لى .

قلت إنه ليس هناك شك فى أن أمين عثمان – نتيجة لذلك – سيبلغ النحاس أن الموقف خطير حقًا .

٦ – قال حسنين إنه أوفد أمس مساعده حسن يوسف لمقابلة النحاس فى الإسكندرية ، ليسأله عما تم بشأن الغزالى . وأشار حسن يوسف إلى أن القصر ظل ينتظر ثلاثة أسابيع .

قال النحاس إن التأخير يرجع إلى انشغاله بالبريطانيين الذين تدخلوا وإن عليه أن يقاوم تدخلهم .

قال حسن يوسف إن الغزالى يجب أن يعود .

رد النحاس قائلا إنه مستعد – إذا كان جلالته يرغب فى ذلك – إجراء تحقيق فى سبب عدم رجوع الغزالى إلى وزيره للحصول على تعليمات قبل تنفيذ أمر الملك فاروق .

رد حسن يوسف بأن الغزالى لم يجد وقتاً .

٧ – قال حسنين إنه يتضح مما سبق أن النحاس لن يعيد الغزالى .

وقال حسنين إنه يرغب قبل الشروع فى عزل النحاس أن يعرف ما إذا كان بياننا عن عدم الرغبة فى التدخل بشأن الغزالى يعنى أننا لن نتدخل فى عزل النحاس .

٨ – قرأت على حسنين الفقرات السبع الأولى من برقيتى رقم ١٩٦٨ . وقد أقر بأنها تتضمن تقريراً دقيقاً لما قاله لى . وأبدى رغبته فى نقله لكم . كما قرأت له أول فقرة من برقيتى رقم ١٢٤٩ .

٩ – قال حسنين بعد ذلك إن الملك (فاروق) يرغب فى الاجتماع بى اليوم .

اعتذرت عن قبول الفكرة على أساس أنه من غير المرغوب فيه أن يشعر الرأى العام أننا نتدخل فى النزاع .

أوضح حسنين أن الملك (فاروق) لم يعد يثق فى رواية حسنين عما نقوله له بعد تجربة الكتاب الأسود وأزمة الربيع الماضى . ويرغب جلالته فى أن يسمع منى مباشرة ما علينا أن

نقوله . ومن الممكن ترتيب اجتماع خاص مع الملك فاروق الليلة فى منزل حسنين عند عودته من الإسكندرية .

١٠ - شعرت أنى لا أستطيع أن أرفض الاجتماع بالملك فاروق ، وقلت إنى تحت أمر جلالته إذا أمكن ترتيب الوقت .

١١ – ذكر حسنين أنه قال لأحمد ماهر إنه يأمل من الحكومة الجديدة أن تتعاون فيما يتعلق بمصالح بريطانيا وتنفيذ المعاهدة .

أجاب أحمد ماهر أنه ليس هناك شك فى ذلك .

وأقترح أن أقول للملك فاروق إننا نتوقع ذلك من الحكومة التى ربما يعنيها .

١٢ – علمت من حسنين أن النحاس قد يعزل غداً .

والظاهرة التى تلفت النظر هنا أن حسين سرى قبل أن يستقيل ، ولم يجد كيلرن فى القاهرة توجه إلى مستر شون يستأذنه باعتباره قائماً بأعمال السفير .

والملك نفسه عندما فكر فى إقالة الوزارة ولم يجد السفير استدعى شون ليحصل على موافقته أولا !

وفى نفس اليوم أقال الملك مصطفى النحاس ، وعين أحمد ماهر رئيساً للوزارة

وفى اليوم التالى اجتمعت حكومة الحرب فى لندن مرة أخرى لبحث ظروف إقالة وتعيين الوزارة المصرية وهذا محضر الاجتماع فيما يتعلق بمصر .

أبلغ أنتونى إيدن وزير الخارجية حكومة الحرب ظروف إقالة النحاس من الوزارة فقال :

«كانت الإقالة بسبب عزل الحكومة لمدير الأمن العام محمود غزالى . وقد طلب النحاس باشا تأييدنا . ولكن لأن الخلاف كان حول مسألة داخلية محضة فقد امتنعنا عن تقديم العون . وإن كان الوزير البريطانى المفوض - مستر شون – قد قدم نصيحة شخصية خالصة بأمل تسوية النزاع .

وأشار وزير الخارجية إلى أن النحاس باشا أعطى تأييده الكامل للمعاهدة ولجهدنا الحربى ، وسيكون من سوء الحظ أن نعطى انطباعاً بأننا نتخلى عن أصدقائنا .

ولا يجب أن يتعرضوا لأى انتقام أو اضطهاد .

ومن ناحية أخرى فقد اتفق على أنه كان من الأفضل لو لم يحدث أى تغيير وزارى . . ولكن الظروف خارجة عن إرادتنا .

إن سجل رئيس الوزراء الجديد أحمد ماهر – فى السنوات الأخيرة يدل على أنه سيكون متعاوناً معنا » .

واكتفت حكومة الحرب بأن تقرر أنها أحيطت علماً بتصريح وزير الخارجية . .

* * *

أقيل النحاس يوم ٨ أكتوبر ، وقرأ كيلرن فى صحف جنوب أفريقيا أن النحاس قد طرد . . ما هو شعور اللورد فى ذلك الحين ؟

فى مذكراته قال :

« كان يمكن أن تكون الأمور أسوأ . . ومنذ مدة طويلة كنت أقول لنفسى إن هذا لابد أن يحدث عاجلاً أو آجلا .

« وكنت أتساءل ماذا سيكون موقفى إذا تحقق ذلك . . إنى أشعر بالارتياح – حقيقة – لأن هذا تم فى غيابى .

« إنى أشك فى أن النحاس قد تصرف بحكمة عندما أوقف غزالى مدير الأمن العام ، الذى نفذ أمراً أصدره إليه فاروق .

« وعلى أية حال إن غيابى يمنع النحاس والوفد من توجيه أى لوم أو اتهام إلىّ بأنى خذلتهم .

« إن وقت الحرب الحرج . . ووقت الخطر مرا بسلام . . والنحاس خدمنا تماماً فى هذه الفترة . . والإنسان يجب أن يقف مع أصدقائه يساندهم . . وقد فعلت ، حتى أن البعض قال إنى قمت بذلك أكثر مما يجب .

« وإذا كان لابد من تغيير فى مصر فمن الأفضل أن يتم ذلك . . وأنا بعيد . . إنى أعرف أحمد ماهر جيداً ، وأحبه كثيراً ، ولكنه لن يكون فى جيبنا مثل النحاس .

« إن أحمد ماهر مدين كثيراً لأحمد عبود . . أى أن (عبود) صاحب فضل عليه . . وعبود معنا بنسبة ١٠٠ ٪ وهو – فى نفس الوقت – مدين لنا أيضاً . . أى نحن أصحاب فضل عليه .

« وبالإضافة إلى ذلك فإنه مع الحلفاء . . ومشاعره نحو بريطانيا ليست موضع شك . . أما أمين عثمان وخروجه من الوزارة فهذه خسارة كبيرة . . وإدارة العمل لن تتم بنفس السهولة القديمة » .

وهذا كله يقطع بأن السفير ليس غاضباً أو ثائراً لخروج أمين والنحاس والوفد من الحكم : إن ما يعنى السفير أن الظروف العسكرية الحرجة انتهت ومرت بسلام . .

وما يعنى السفير أيضاً أنه يستطيع أن يقابل الوفد ، وأن يقول للنحاس والوفديين إنه لا ذنب له فيما جرى . . ولا مسئولية عليه فى الإقالة . . وإنه لو كان فى مصر فى ذلك

الوقت . . ما حدث شيء .

إن كيلرن يريد أن يبقى الوفد مع بريطانيا حتى لا ينقلب متطرفاً فى المعارضة .

وفى نفس الوقت يعلم اللورد أن (عبود) معه . . وأن أحمد ماهر – بالتالى – معه ومع بريطانيا . . .

إن السفير يريدهم جميعاً فى جيبه بنسب متفاوتة . . وبأبعاد وأحجام مختلفة . . .

. . وهكذا خرج النحاس من الوزارة !

وبعد خمسة أسابيع استقبل السير ألكسندر كادوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السفير المصرى فى لندن . .

وانتهز وكيل الخارجية البريطانية ليقول للسفير المصرى بطريقة فيها تحذير خفى من محاكمة أعضاء أو أنصار حكومة الوفد .

قال كادوجان :

– ليس من صالح المصريين أنفسهم ، ولا من صالح بريطانيا ، أن يتعرض للانتقام أولئك الذين ظلوا لسنوات يبدون إخلاصاً عميقاً للمعاهدة !

واقترح السفير تعيين النحاس مديراً للمكتب الشرقى لشركة قناة السويس !

* * *

بعد عامين – تقريباً – من زيارة تشرشل السرية الشهيرة ، جاء إيدن وزير الخارجية إلى القاهرة .

كانت الظروف الدولية قد تغيرت ، وأبطال الرواية استبدلوا بآخرين . . ولكن الود لبريطانيا على المستوى الرسمى الحكومى ثابت لايتغير ولايتبدل .

برقية رقم ٢٠٦

بتاريخ ٢٣ أكتوبر عام ١٩٤٤

من مستر شون

إلى وزارة الخارجية

١ – حضر وزير الخارجية مستر أنتونى إيدن ، معى ، مأدبة الغداء ، للاجتماع برئيس الوزراء أحمد ماهر باشا ، ومحمود فهمى النقراشى باشا . وحضر المأدبة أيضا المستشار الشرقى والمستشار التجارى .

٢ – قال مستر إيدن لأحمد ماهر باشا إنه يسعده أن يعلم بالضمانات التى قدمها دولته فيما

يتعلق بتنفيذ معاهدة الصداقة والتحالف البريطانية المصرية ، واستمرار تعاون مصر مع حليفتها لا أثناء الحرب ضد ألمانيا بل ضد اليابان .

وقد أشار أحمد ماهر باشا إلى أنه وحزبه كانا يناديان بدخول مصر الحرب إلى جانب بريطانيا العظمى والدول الديمقراطية . وأنه كان يؤمن دائماً بأن ذلك أكثر الطرق حكمة بالنسبة لبلاده .

واختلف حسنين باشا معه فى هذه النقطة .

وأصر حسنين باشا على أن الجيش المصرى ليس مجهزاً بالشكل المناسب للحرب الحديثة . وأن السلطات العسكرية البريطانية ، نفسها ، لم تكن ترغب فى أن تعلن مصر الحرب على المحور .

ولو أن مصر فعلت ذلك ، لكانت مدنها وموانيها ، وجسور النيل الحيوية قد تعرضت حتماً للهجمات الجوية بأكثر مما تعرضت له ، وفى وقت لم تكن فيه دفاعاتنا الجوية قوية .

وفضلا عن الصعاب التى كان يمكن أن يسببها ذلك من الزاوية العسكرية البحتة ، فإنه كان سيزيد أيضاً من المشاعر الشعبية ضدنا ، لا فى مصر وحدها ، بل فى الشرق الأوسط بشكل عام .

وأكد أحمد ماهر باشا وحسنين باشا من جديد اعتزام الحكومة المصرية التعاون معنا بشكل كامل مخلص فى المجهود الحربى .

ولم يرد أى ذكر لاشتراك مصر فى مؤتمر الصلح ، أو لمطالبها الخاصة بالتعويضات بعد الحرب .

٣ – أشار وزير الدولة إلى العدد الكبير من المسئولين الذين طردوا من الحكومة المصرية . ونصح الوزراء المصريين بالاعتدال فى هذا وتجنب الانتقام من الحكومة السابقة وأنصارها .

أكد حسنين باشا أن الحكومة الحالية تتصرف بتأن بعد أن رأت ذلك العدد الكبير من الترقيات الاستثنائية التى كانت الحكومة السابقة مسئولة عنها ، ومدى انتشار الفساد فى مصر .

وأكد أحمد ماهر باشا لإيدن أن الحكومة لم تقم بطرد المسئولين لمجرد أنهم وفديون فقد احتفظ ماهر باشا بعدد منهم فى مكتبه الخاص .

إن المسئولين الذين طردوا هم الذين قاموا بتصرفات غير لائقة ، أو كانوا غير صالحين لمناصبهم .

وقال أحمد ماهر إنه ضد الانتقام لأسباب سياسية .

وأكد إيدن للوزراء المصريين أهمية قيام جهاز إدارى فى مصر لا يتأثر بالتغييرات الوزارية .

«ويمكن أن أذكر فى هذا الشأن أنه عندما تم اتصال بينى وبين مكرم عبيد باشا وزير المالية صباح اليوم ، ناقشت معه مسألة فصل المسئولين والانتقام منهم ، نظراً لأنه يعتبر من الذين يهاجمون الوفد »

٤ – سئل أحمد ماهر عن الانتخابات القادمة ، فقال إن مرسوماً بحل البرلمان الحالى سيقدم إلى الملك فاروق قريباً .

وأعرب عن توقعه بأن الانتخابات ستجرى فى أقرب وقت ممكن .

أكد وزير الخارجية الرغبة فى أن تجرى الانتخابات بنزاهة .

٥ – دار نقاش حول نقص القمح والمنسوجات وقال الوزراء المصريون إنهم يتطلعون إلى مساعدتنا فى هذا الشأن .

وأشار وزير الخارجية إلى الصعاب الهائلة فى تزويد دول أوربا – التى عانت من الاحتلال – بمجرد ضرورات الحياة . ولكنه أوضح أن مطالب مصر ستدرس بعطف على ضوء الظروف الحاضرة .

٦ – وتحدث وزير الخارجية عن أهمية اتخاذ قرار سريع فيما يتعلق بتطوير مطار ألماظة عن طريق مشروع بريطانى مصرى مشترك . قال رئيس الوزراء إنه كان على وشك أن يرسل إلىّ خطابا فى هذا الموضوع . وإنه يستطيع أن يؤكد لى أن الخطاب سيكون مشجعاً .

أكد إيدن أن المطلوب قرار عاجل ومشجع .

وأفهمه أحمد ماهر أن هذا القرار سيصدر .

٧ – تولى إيدن تذكير أحمد ماهر باشا أن حكومة صاحب الجلالة وافقت على إطلاق سراح شقيقه على ماهر باشا بناء على طلبه الخاص ، وضمانه بحسن سلوكه . ونظراً لسجل على ماهر باشا الماضى ، فإن حكومة صاحب الجلالة تعتمد على رئيس وزراء مصر لضمان امتناعه عن القيام بأى نشاط سياسى . وأبلغ أحمد ماهر وزير الخارجية البريطانى أن على ماهر باشا سافر صباح اليوم إلى منزله الريفى قرب الإسكندرية ولن يشترك فى أى نشاط سياسى .

٨ – أكد حسنين باشا لإيدن أن الملك (فاروق) لايعد معادياً لبريطانيا مثله تماماً . وأن كلا منهما يعرف أين تتجه مشاعره .

وقال حسنين إن الملك كان ضحية تضليل مستشاريه الأشرار ، وخاصة على ماهر باشا – فى بداية توليه العرش .

وأضاف حسنين إنه كان مقتنعاً بأن الملك يؤمن إيماناً قوياً أن مستقبل بلاده مرتبط بمستقبل بريطانيا ، وإنه سيبذل كل ما فى وسعه من أجل التعاون معنا فى الحرب .

٩ – كان الوزراء المصريون يشعرون بفضول ، وبقدر غير قليل من القلق ، بالنسبة لسياسة الاتحاد السوفيتي وخاصة فى البلقان وشرق البحر المتوسط وتركيا . وقدم لهم وزير الخارجية تقريراً مطمئناً عن زيارة رئيس وزراء بريطانيا ، وقد صحبه فيها لموسكو ، وقد وجدا فى هذه الفرصة روحاً من الود والتعاون الحقيقيين أكثر من أى وقت مضى .

١٠ – إنى أشكر وزير الخارجية لحضوره لمقابلة الوزراء المصريين ، والتأكيد أمامهم – بكل ثقل سلطته – على النقاط الرئيسية التى كنا نطرحها عليهم أنا وسير والتر سمارت منذ تولت الحكومة الجديدة السلطة .

إن تغيير وزارة الوفد ، التى ظلت فى الحكم لفترة طويلة وتعاونت معنا بشكل طيب للغاية ، ومجىء حكومة ائتلافية من أحزاب المعارضة ، أدى بنا حتماً إلى وضع أقل استقراراً ، سواء من ناحية مدى التعاون الذى سنلقاه من مجلس الوزراء الجديد ، أو من ناحية قدرة الوزارة على مواجهة الموقف الداخلى الذى وصفه حسنين باشا بأنه : (ورطة) .

وإنى أعتقد أن اجتماع إيدن بالوزراء المصريين مفيد من كلتا الزاويتين .

لقد أعرب الباشوات الثلاثة عند مغادرتهم عن سرورهم بشكل خاص ، لإتاحة الفرصة لهم لمقابلة إيدن بطريقة غير رسمية ، وكان موقفهم طوال المقابلة يبدو مدفوعاً برغبة حقيقية فى التعاون مع بريطانيا العظمى ، والاحتفاظ بصداقتها فى عالم ، وصفه أحمد ماهر فى أول لقاء بيننا «لاتستطيع أمة من الأمم وخاصة الصغرى أن تقف فيه وحدها» .

* * *

ولم يكن الملك أقل وداً من رئيس وزرائه . . أو وزير خارجيته . . أو رئيس ديوانه . .

برقية رقم ٢٠٧
بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤
من مستر شون
إلى وزارة الخارجية

١ – استقبل الملك فاروق وزير الخارجية ظهر اليوم . وقد رافقت مستر إيدن .

٢ – حاول جلالته – بوضوح – أن يكون ودياً . وقد اعتذر بشدة لأنه لم يستطع أن يستقبل رئيس الوزراء عند زيارته القصيرة لمصر . وطلب من مستر إيدن إبلاغ مستر تشرشل أطيب تمنياته .

وأشار إلى أنه يود زيارة بريطانيا مرة أخرى عندما تسمح الظروف بذلك .

٣ – أعرب وزير الخارجية عن تقديره للتأكيدات الشخصية التى قدمها الملك فاروق بعد التغيير الأخير فى الحكومة . . فيما يتصل بعلاقات مصر وبريطانيا .

شكر جلالته مستر إيدن وقال إنه بينما يتركز اهتمامه الأول كما كان دائماً فى مصالح بلاده ، فإنه لايريد إحراج حليف – مصر – أثناء الحرب .

وقال الملك إن هذا الموقف لم يكن موضع فهم كامل دائماً من جانب حكومة صاحب الجلالة .

٤ – تحدث مستر إيدن عن العمل الكبير الذى لابد من القيام به لتحسين ظروف الحياة للطبقات الأكثر فقراً فى مصر .

وأعرب الملك عن تقديره ، لأن حكومة صاحب الجلالة مستعدة للمساعدة بقدر استطاعتها بمد البلاد بشحنات القمح الضرورية والمنسوجات .

٥ – كان لدى الملك فاروق بعض التعليقات القاسية عن الحكومة السابقة .

واعترف الملك بأن الحكومة الجديدة ليست فريقاً كفئًا بشكل كامل بأية حال من الأحوال .

قال :

– إنها على أية حال لا يمكن أن تكون أسوأ من الحكومة السابقة .

وقال الملك إنه تحدث أمس باستفاضة مع زعماء مختلف الأحزاب السياسية الممثلة فى الحكومة . وطلب منهم أن يعملوا معا من أجل صالح الشعب المصرى لا من أجل المصالح الأنانية الخاصة .

سئل الملك عما سيحدث إذا لم ينجحوا ؟

أجاب الملك أن الفشل سيقع على رءوسهم وأن الشعب المصرى لن يسمح بذلك ، وأنه – هو نفسه – لن يقبل أى عبث

وأشار إلى أنه خلال فترة طويلة ماضية لم يكن على علاقة طيبة بحكومته . وربما لم ندرك نحن ماذا يعنى ذلك .

٦ – كان جلالته – شأنه فى ذلك شأن الوزراء المصريين أمس – متلهفاً على الحصول على معلومات عن العلاقات البريطانية السوفيتية الأمر الذى قدم له ، وزير الخارجية ، تقريراً عنه . وبدا الملك أكثر تفهماً للنوايا السوفيتية مما كان .

٧ – أعرب جلالته عن أسفه لأن مستر إيدن لن يبقى فى مصر فترة أطول ، فإن الملك كان يرغب فى تكريمه . «ومن المقرر إقامة مأدبة كبيرة فى القصر غداً دعى إليها كثير من أعضاء

السفارة ووزير الدولة المقيم وقادة الأسلحة وعدد كبير من البريطانيين » .

ويتوجه بنكى تاك إلى السفارة البريطانية ليتناول مع إيدن طعام الغداء . . ويتحدثان عن الموقف فى مصر . .

وتقول برقية تاك عن هذا الحديث الذى اشترك فيه نورى السعيد . . أحد رجال بريطانيا فى المنطقة .

« أعرب إيدن لى عن ثقته فى حكومة أحمد ماهر .

وفى الوقت الذى اعترف فيه بميله الشخصى إلى النحاس باشا فإنه يعتقد أن رئيس الوزراء السابق هو شخصياً شريف . وقد وقع ضحية حاشية بغيضة ، وأن الأمور تطورت فيما بعد بصورة جعلت من المستحيل بقاء نظام حكمه فى السلطة .

وقال لى إيدن :

لا أريد مزيداً من القلاقل هنا ، إن لدينا كثيراً من المتاعب الخاصة بنا فى أجزاء أخرى من العالم .

وانتهزت الفرصة لأعرض على إيدن – ما أشعر به من أنه لايزال ممكناً بذل الكثير لتوجيه الملك الشاب – فاروق – ليمضى فى طريق حكم . لقد بعث به القدر ليحكم مصر .

وأشعر – بقوة بالغة – أنه لا يجب ضياع أى فرصة متاحة لمساعدته فى مهمته البالغة الصعوبة .

وذكرت إيدن بأن المعاملة الخشنة التى اختص بها الدبلوماسيون البريطانيون الخديو عباس حلمى – الذى عاد منذ سنوات مضت صبياً ليحكم مصر – لم تسفر إلا عن تحويله إلى كاره لكل ما هو بريطانى بحرارة وإصرار .

ولهذا أرى أنه يجب بذل كل جهد ممكن لكسب الملك تماماً إلى جانب الأمم المتحدة .

وقد وافقنى إيدن على هذا ، ولكنه ذكرنى أن الملك الشاب كان منذ سنوات قليلة ، فقط ، وحين كان الوضع العسكرى فى مصر بالغ الحساسية ، خاضعاً لتأثير إيطالى قوى ، وكانت لديه مشاعر شبه علنية مؤيدة للمحور .

وأشار إيدن بكل سرور إلى العلاقات الودية القائمة بين السفارة البريطانية وهذه السفارة .

وكان بالغ السرور أيضاً حين علم أن هذه العلاقات الودية قائمة أيضاً بين كبار المسئولين العسكريين البريطانيين فى مصر والماجور جنرال جيليس .

شكرته على هذه اللفتات وذكرته بأن الممثل الدبلوماسى الأمريكى فى القاهرة كثيراً ما يجد من الضرورى الانغماس فى نوع السير على الحبال بصورة خيالية لطيفة » .

ومن هذه الفقرة الأخيرة يتضح موقف المفوضية الأمريكية فى مصر..

إنها تسير على الحبل بين الملك والإنجليز..أو بين مصالح أمريكا القادمة.. ومصالح بريطانيا التى انتهت أو فى طريقها للزوال !

* * *

وللحفل الملكى الذى لم يحضره إيدن قصة أخرى !

برقية رقم ٥٨٧

من بنكى تاك

إلى وزير الخارجية فى واشنطن

فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٤

فى الخامس والعشرين من أكتوبر أقام صاحب الجلالة الملك فاروق مأدبة عشاء بقصر عابدين ، تكريماً للمستر تيرينس شون الوزير البريطانى فى مصر ، القائم بالأعمال فى فترة إجازة اللورد كيلرن السفير البريطانى .

وحضر المأدبة أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء ، وأعضاء مجلس الوزراء ، ورئيسا أركان القوات المسلحة البريطانية والمصرية ، والأعيان المصريون ، والرعايا البريطانيون وكبار المسئولين البريطانيين بالحكومة المصرية .

ومن المهم أن أشير إلى أن هذه أول مناسبة يحتفل بها ملك مصر الحالى – بهذه الطريقة رسمياً – بالممثل الدبلوماسى البريطانى منذ توليه العرش فى عام ١٩٣٦ .

وجذبت لفتة المحاباة والتكريم للقائم بالأعمال البريطانى قدراً عظيماً من الاهتمام ، بعد تصريح لرئيس الوزراء وعد فيه بالمساندة والصداقة المصرية لبريطانيا .

وقد أعطيت تغطية إعلامية صحفية واسعة للتصريح الذى أدلى به رئيس الوزراء فى ١٣ أكتوبر لمراسل رويتر فى مصر ، وقال فيه : « إن مصر لن تتردد فى تقديم كافة التسهيلات والمساعدة اللازمة إلى أن يتم النصر ليس فقط فى أوربا بل فى المحيط الهادى أيضاً .

وإن الحكومة المصرية عازمة على ذلك بكل جهد مستطاع لإقناع الدول الديمقراطية عامة ، وبريطانيا العظمى على وجه الخصوص ، بأن مصر صديق حقيقى ، وأنها ستظل وفية بالتزاماتها ، وبهذا تؤكد مبادئنا الديمقراطية وتطلعاتنا الوطنية . لذلك فإن علينا ألا نترك شكًّا لدى أى شخص فى أن مصر لا تعترف بالتزاماتها فى المعاهدة فقط ، بل إنها راغبة بإخلاص فى الوفاء بهذه الالتزامات نصًّا وروحاً » .

وبعد بضعة أيام من تشكيل الحكومة الجديدة التقيت بحسنين باشا رئيس الديوان الملكى .

وناقشت معه الموقف الذى أدى إلى طرد وزارة النحاس باشا .

أبلغنى حسنين باشا أن الملك يقدر بصورة عظيمة الطريقة الحكيمة التى عالج بها المستر شون الموقف خلال اللحظات الحرجة التى سبقت طرد النحاس باشا مباشرة وتشكيل الوزارة الجديدة .

إن القائم بالأعمال البريطانى ، بناء على تعليمات من حكومته ، كان بالغ الحرص على عدم التدخل رسمياً فى الحادث الذى أدى إلى طرد رئيس الوزراء السابق ، والذى وقع نتيجة وقف غزالى بك مدير الأمن العام فى مصر بناء على أوامر النحاس باشا .

تم تغيير الحكومة فى جو من الهدوء التام وفى نظام .

وتم استرضاء الملك .

وربما ارتاح إلى حد كبير بسبب فوزه بهدفه بهذه السهولة الكبيرة .

وطبقاً لمعلومات مبلغى ، قرر الملك لهذا السبب تقديم لفتة ودية نحو البريطانيين ، وهى لفتة يمكن تفسيرها على أنها دليل تقدير للمساندة البريطانية للقصر خلال الأزمة ، بل تقديره الشخصى لعلاج مستر شون الحكيم للموقف الصعب .

وبرغم أن حسنين باشا لم يقل هذا فإنى أتصور لفتة قصر عابدين بالصورة التى ذكرتها أعطت الملك فاروقاً قدراً ليس بالقليل من الراحة والرضا ، فقد كرم الممثل البريطانى فى غياب السفير اللورد كيلرن .

وتأكدت ملاحظات حسنين باشا خلال حديث آخر لى مع كريم ثابت بك رئيس تحرير المقطم الذى يعتبر نفسه قريباً جداً من الملك .

وأعطانى كريم ثابت معلومات إضافية تفيد أنه حين استقبل المستر شون فى قصر عابدين ، بعد تغيير الحكومة بوقت قصير لتقديم المهراجا باتيالا . قدم الملك للقائم بالأعمال البريطانى بياناً مكتوباً يعد فيه بمساندة وصداقة مصر لبريطانيا .

وفى نفس الوقت قال لمستر شون إنه يأمل أن تبدأ العلاقات الأنجلو – مصرية «بصفة جديدة» .

* * *

وعاد كيلرن من جنوب أفريقيا . .

إنه نسى النحاس والوفد تماماً ، ولم يذكر إلا أن الحرب لم تنته بعد . .

وهو يريد أن يطمئن على موقفه فى مصر . . وعلى نفوذه فى البلاد .

برقية رقم ٢٢٩
بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٤٤
من اللورد كيلرن
إلى وزارة الخارجية

١ – اجتمعت لمدة ساعة مع الملك فاروق .

٢ – كان جلالته لطيفاً للغاية . وأشرنا إشارة عابرة إلى مسألة تغيير الحكومة . وقد انتهزت الفرصة لأذكر أنه بعد أن تم القضاء على الخطر الذى كانت تتعرض له مصر وقاعدة إمداداتنا هنا فإنه من المنطق أن نكون أقل اهتماماً بالمسائل الداخلية فى بلدكم ، بشرط ألا تتعرض مصالحنا للخطر بطبيعة الحال

وأكدت أيضاً أن المصالح المتعلقة بالحرب كانت دائماً العامل الموجه لسياستنا – وهى العامل المشروع تماماً – ولاتزال كذلك .

ولاشك أن جلالته أدرك فى نفس الوقت المسئولية الكاملة التى تقع على كاهله مباشرة الآن .

وليس لدى شك فى أن جلالته وحكومته الجديدة مصممان على الوفاء بالتزاماتهما تجاهنا . ويسرنا أننا تلقينا التأكيدات الضرورية فى هذا الشأن .

٣ – قال جلالته إنه يدرك تماماً مدى المسئولية التى يتحملها . ولم يكن يشعر بأى خوف من هذه الناحية .

ولقد ذكرته ، بكل طريقة ودية ، بالتزامات الملكية الدستورية وخطورة الانحراف عن هذا الطريق الضيق المستقيم .

ضحك وقال إن « النادى » أصبح يضم الآن نخبة ممتازة .

٤ – انتقل جلالته إلى التفاصيل ، واعترف أنه تضايق بسبب المنافسة على المقاعد بين الأحزاب ، وأنه يبذل ما فى وسعه للوصول إلى حل . وقد وقع بالفعل مراسيم حل البرلمان .

٥ – ذكرت حالتى طاهر وعباس حليم . وقد فوجئت عند عودتى عندما علمت أن طاهر لايزال يرأس منظمات كثيرة رياضية وغيرها . والاحتفاظ برجل يشتهر بأنه موالٍ للألمان ، فى مثل هذه الأماكن البارزة يعد – إذا استعملنا تعبيراً مخففاً – أمراً يدعو للدهشة بل الانزعاج .

حاول جلالته التقليل من شأن طاهر وقال إن الأندية المختلفة هيئات مستقلة ، ولكنه لم يعارض عندما قلت إن إبداء إرادة ملكية سيكون حاسماً بالتأكيد .

وفيما يتعلق بعباس حليم فقد اتخذ جلالته موقفاً مرضياً بدرجة أكبر . إن هذا الرجل تجب مراقبته ووقفه عند الضرورة .

٦ – تحدث جلالته بانفعال عن اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط ، الذى كان صدمة مروعة للشعب المصرى كله . وتساءل عما إذا كان فى الأمر مبالغة أن نأمل أن يفتح هذا الاعتداء الغادر أعين العالم على مؤامرات العناصر اليهودية المتطرفة فى فلسطين .

وأعرب جلالته عن سروره لأن البوليس المصرى تصرف بسرعة وفعالية وقد كافأ الملك كونستابل البوليس ، ولكن إذا أبدت حكومة صاحب الجلالة استعدادها لتقديم رمز يشير للاعتراف بشجاعة هذا الكونستابل ، فسوف يرحب بذلك ترحيباً حاراً . وأبلغت جلالته أن مستر شون قدم توصية بذلك .

٧ – ساد الاجتماع طوال انعقاده أقصى درجات الود .

* * *

ولم تتغير لعبة كيلرن كثيراً . .

كان قبل ذلك يلعبها مع النحاس أو أمين عثمان . . وهو اليوم يلعبها مع أحمد ماهر .

إن كل عمل يتم بالاتفاق بين السفير ورئيس وزراء مصر . .

برقية رقم ٢٣٦٥

بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٤٤

من اللورد كيلرن

إلى وزارة الخارجية .

١ – منذ عودتى فى ١٢ نوفمبر عقدت اجتماعين طويلين ، أجريت خلالها محادثات مرضية مع رئيس الوزراء الجديد أحمد ماهر باشا .

٢ – إن مشاعره الموالية لبريطانيا لم تكن موضع شك على الإطلاق . . ولكنه أعاد تأكيدها بأكثر إيجابية . وأضاف أن علاقاتنا الشخصية كانت دائماً رائعة (وهذا صحيح).

وقال الباشا إنه يشاركنى تماماً هذا الرأى – كما يثبت ذلك سجله – ولكن المسألة الآن هى مسألة السبل والوسائل – بل مسألة الحكومة .

ولقد كان أحد أخطاء النحاس باشا أنه كان يضايق الملك (فاروق) بصفة مستمرة بشأن النقاط الدستورية .

ولايعتزم أحمد ماهر أن يفعل نفس الشىء . وتقوم فكرته على أساس معالجة المسائل الثانوية عند نشأتها ، مع تجنب إثارة منازعات مع القصر بقدر الإمكان فيما يتعلق بالمسائل الجوهرية التى سوف تحل نفسها بنفسها إذا عولجت بمهارة .

« تمنيت أنه بالنسبة لى فإننى أتطلع بشعور من الارتياح إلى البقاء خارج الحلبة بقدر الإمكان »

. . والملاحظ أن هذه هى نفس الكلمات التى كان يستعملها السفير مع سرى . . ثم مع النحاس ! !

٣ – تحدث رئيس الوزراء بصراحة عن الملك فاروق . وهو يعتقد أن جلالته متلهف الآن على أن يلعب اللعبة .

وقد ألح على جلالته فيما يتعلق بأهمية الاعتماد على رئيس وزرائه فى تقديم المشورة السياسية والاحتفاظ باتصال وثيق معه .

وقد أعرب جلالته عن موافقته على ذلك .

٤ – أبلغت رئيس الوزراء عن اجتماعى مع جلالته أمس ، وعن الانطباعات الطيبة التى خرجت بها من الاجتماع . وفى نفس الوقت شعرت بأنه من الأفضل أن يظل دولته يقظاً . وعليه أن يتذكر كيف أن الملك (فاروق) سعى دائماً من أجل السيطرة التامة ، إن هذه كانت دائماً سياسة القصر التى ورثها الابن عن الأب ، وليس لدى شك فى أن الملك الجالس – الآن – على العرش . يؤمن بحق أن هذا ليس فى مصلحة البلاد .

الواقع المطلوب هو توازن عادل فى السيطرة التى يمارسها العرش والحكومة جنباً إلى جنب بحيث يعمل أحدهما فرملة للآخر فى بعض المناسبات .

قلت إنى لست فى حاجة إلى أن أذكر دولته بأننا ملكيون مؤمنون بالملكية التى نعلم أنها أفضل نظام للحكم ، وأنها تنطوى على تقدير العاهل والحكومة المنتخبة لمسئولياتها الدستورية . وينبغى الاعتراف بأن مصر لايزال أمامها طريق طويل لابد أن تجتازه للوصول إلى الديمقراطية الحقة . ولكننى أوضحت لدولته أن هذه هى الغاية التى ينبغى السعى إليها .

بعد تشكيل الوزارة الجديدة بعثت الحكومة البريطانية تسأل عن أحوال صديقها فى مصر المليونير أحمد عبود فأجاب شون :

« إن عبود على علاقة طيبة بالجميع ، بما فى ذلك رئيس الوزراء الجديد . وقد أبلغنى يوم تشكيل الوزارة أن تعيين مكرم لن يساعد على تنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان .

ولكن شون لم يستطع إعطاء عبود أى أمل فى أن بريطانيا ستعارض فى تعيين مكرم عبيد فى منصب تولاه مرتين من قبل .

ولكن عندما بدأت جريدة الكتلة تنشر بالزنكوغراف أصول وثائق تدل على التعاون بين الوفد والسفارة فى بعض مسائل التموين مما أتاح لأسرة قرينة النحاس جمع ثروة . . تدخل

السفير البريطانى واجتمع بأحمد ماهر وقال له :

– قل للكتلة أن « تحاسب » .

. . وتوقفت الكتلة عن نشر باقى الوثائق . .

ولم يبق كيلرن خارج الحلبة

إنه كان دائماً فارسها الأول والأخير . .

أحياناً يلعب بنفسه . . وأحياناً من وراء ستار مصرى . .

والجميع يقصدونه . . ينصحونه . . يحاولون التأثير عليه بكل الطرق . . كما تدل على ذلك عشرات الأمثلة . .

* * *

بدأت لهجة النحاس تشتد ضد الإنجليز بعد إقالته من الوزارة .

. . نفى النحاس صلته بحادث ٤ فبراير . . أو بالإنجليز . . قبل حادث ٤ فبراير . . وتنبأ بشىء من هذا كله السير موريس بيترسون الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية .

كتب يوم ٥ فبراير ١٩٤٢ مذكرة إلى أنتونى إيدن قال فيها :

انتهت الأزمة المصرية حتى تبدأ أزمة جديدة .

وسأكون آخر من يعارض نتيجتها العامة . وهى أننا وضعنا الملك (فاروق) فى مكانه الصحيح .

ولكن لدى نقطة أحب أن أثيرها . . وستكفلنا غالياً فى المستقبل وهى أن السير مايلز لامبسون لم يكن فى أى وقت من الأوقات على اتصال مباشر بالنحاس فى هذه العملية ، سواء عند تعيين الحكومة الجديدة ، أو عند التفكير فى عزل الملك . .

ونتيجة لذلك سيبقى الباب مفتوحاً . . أمام النحاس باشا لينكر علناً – وسيفعل ذلك حتماً – أنه مدين بمنصبه لتأييدنا أو أنه ملتزم إزاءنا بشىء .

ولايوجد شىء نرفعه فى وجهه – حتى سراً – عندما تقوم أزمة جديدة .

إنى لا أعتبر الرسائل المتعددة التى تبادلها السير مايلز لامبسون والنحاس بواسطة أمين عثمان بديلاً كافياً عن لقاء مباشر بين السفير وزعيم حزب الوفد .

إن هذه الرسائل ، مهما كانت الثقة بالوسيط ، ربما لم تسلم . . أو على الأقل ، سلمت بطريقة محرفة ومغايرة ، أو مختلفة لما كانت عليه عند التسليم .

وأنا أعرف أنى سأتهم بالتزوير . . ولكنى لعبت لعبة الاستغماية أى الظهور والاختفاء . بنفسى ، مع النحاس .

ويجب قبل أن يكون ذلك متأخراً جداً . . أن تحين اللحظة لنقبض على (العرساء) . . وأن نجعل الأرنب يظهر على السطح .

إنى أعترف بأن معلوماتى عن مصر متخلفة قليلاً . . ولكنى مستعد ، إذا سمحتم لى بالدعاية . . وعذرتمونى . . أن أراهن بمبلغ بسيط على أن وزير خارجية بريطانيا سيتساءل خلال ٣ شهور :

– لماذا بحق السماء لم نفعل شيئاً . . عدا أننا جئنا بالوفد إلى الحكم !

ويؤشر إيدن على هذه المذكرات قائلاً :

بالنسبة لعدم مقابلة لامبسون للنحاس يكتب إيدن «أن للسير لامبسون أسبابه ومنطقه ، ولا أستطيع أن أكون على يقين من أن هذه الأسباب سليمة . . أم لا . .

ويؤشر إيدن على الفقرة الخاصة بأن النحاس سينكر : «أن كل القاهرة رأت قواتنا . . وهذا أفضل من أى لقاء آخر مباشر» .

وأمابالنسبة للرهان فيكتب إيدن :

«هذه الرهان مضمونة . . لأن سياسة مصر عامة ، والوفد بصفة خاصة تثير المتاعب . . الحقيقة الوحيدة : وهى أننا جئنا بالوفد – ستكون معروفة للقاهرة كلها . . الدبابات والقوات إلخ . . ولكن لم يكن لنا خيار» .

وكأن بيترسون يقرأ الغيب . .

نفى النحاس دور الإنجليز .

وكانت سياسة تحريك الدبابات علناً وحصار القصر علناً بهدف إخضاع فاروق من ناحية . . وعزل حزب الوفد عن الشعب من ناحية أخرى . . فإن الحادث كان مقدمة لابتعاد الكثيرين عن الوفد . . لاحباً فى الملك ولكن غضباً لما وجه ضد مصر نفسها . . أو ضد مصر كلها .

وصارت مثلاً كلمة النحاس :

– هل إذا دخلوا الوزارة معى زال الإنذار . . وإذا ألفت الوزارة وحدى . . خضعنا للإنذار ؟ !

ولم تكن هذه الكلمات سخرية من النحاس . . إنها كانت تعكس الواقع السياسى المصرى كله .

مادامو فى الوزارة فهم لايخضعون للإنجليز .

أما إذا خرجوا من الوزارة فهم يهاجمون الإنجليز .

ولم يكن هذا حال النحاس وحده . . بل كان الزعماء جميعاً على هذا الحال.وبقى أمين عثمان صديقهم جميعاً . . النحاس ، ومحمد محمود ، وعلى ماهر ، وسرى . . إلخ ، يزورهم جميعاً . . ويترددون إليه . . فقد كان رسولهم إلى السفير . .

ظل الزعماء يلعبون معنا . . ومع مصر لعبة الاستغماية . . وهى كلمة وكيل الخارجية البريطانية ! . .

وغير أفراد اللعبة مواقعهم أكثر من مرة . .

أحياناً مع الملك . . وأحياناً يعارضونه . . يختلفون على المناصب الوزارية . . ولايختلفون على إرضاء الإنجليز .

. . بعضهم غير موقعه فى اللعبة باختياره . .

وبعضهم تغير . . رغماً عنه .

إن اللورد كيلرن كان يجب أن ينقل من مصر بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ليجيء إلى مصر ممثل جديد لبريطانيا يكون سفيراً لبلاده ، ولا يعمل على أساس أنه المعتمد البريطانى أو المندوب السامى البريطانى فى مصر .

وحدثت محاولات لنقله . .

فى سنة ١٩٣٧ فكرت وزارة الخارجية البريطانية فى تعيينه سفيراً لبلاده فى برلين ، ولكن رؤى أن بقاءه فى القاهرة ضرورى لتنفيذ المعاهدة ، خاصة بعد قيام الحرب الإيطالية الحبشية .

واختير بدلا منه نيفيل هندرسون ليكون سفيراً فى برلين ، ليحاول تحقيق التقارب بين هتلر والإنجليز .

وكان من أسباب اختيار هندرسون أنه عرف كيف يتعامل مع الملك فؤاد عندما كان قائماً بأعمال المعتمد البريطانى فى مصر عام ١٩٢٥ . ويستطيع أن يكرر التجربة مع ديكتاتور ألمانى !

ولكن هندرسون فشل فى برلين . .

وقالت الوثائق البريطانية نفسها إن الملك (فؤاد) ضحك على هندرسون . . . وبعد ذلك ضحك عليه هتلر أيضاً .

الملك فؤاد أقنعه بأن على بريطانيا أن تؤيد سياسته ، أى سياسة فؤاد . .

وهتلر قال لهندرسون إنه لن يحارب بريطانيا ، وإنه يريد السلام . وصدقه هندرسون ، وكتب ألوف البرقيات بذلك إلى لندن . .

ولكن قامت الحرب . . وأخذ هندرسون أسيراً فى برلين !

ورشح كيلرن مرة ثانية حاكماً عاماً للهند فى سنة ١٩٤٣ بعد أزمة الكتاب الأسود ولكن تشرشل اختار فى آخر لحظة الماريشال ويفل .

والغريب فى الأمر أن ويفل تفرغ فى الهند لتأليف كتاب عن « أللنبى فى مصر » . . !

وعلى أية حال بقى كيلرن فى مصر حتى عام ١٩٤٦ ، عندما أصر أرنست بيفن وزير الخارجية على نقله من مصر .

ولم يكن كيلرن صادقاً مع أحد من الزعماء المصريين . . أو مخلصاً له . . . أو مؤمنا به .

كان صادقاً ومخلصاً مع بلاده . . ولبلاده . . بريطانيا . وكذلك كان معتمداً بريطانيًّا ومندوباً ساميًّا .

ويكفى أن نقرأ التقارير السرية البريطانية عن مصطفى النحاس ، الذى جاء إلى الحكم فى ٤ فبراير .

إن التقرير عن مصطفى النحاس يقول :

« مختال . سيئ السلوك . يتأرجح داخل وخارج المنصب ، تحت تأثير العناصر المتنافسة فى دوائر الوفد الداخلية .

هزلى كرجل دولة ، ولكنه بطل شعبى بوصفه مؤيد متعصب ومتماسك للزغلولية » .

وفى مذكرات السير أوليفر هارفى السكرتير الخاص لايدن قال إن ٤ فبراير هى فكرة لامبسون - أوكيلرن - أولا وأخيراً ! ! !

* * *

ولقد سجل كيلرن تجربته وتجربة الحكم فى مصر خلال الـ ١٢ سنة التى عاشها هنا .

غادر كيلرن مصر إلى الأبد يوم ٩ مارس ١٩٤٦ بعد نقله . . وأوصى جيمس بوكر الوزير المفوض أن يبعث إلى لندن بهذا التقرير بالشفرة صباح الاثنين ١١ مارس .

واختار كيلرن لتقريره هذا العنوان « أنشودة وداع » .

وهذا نص التقرير :

أنشودة الوداع

١ - فى سنة ١٩٣٤ غادرت الصين بعد سبع سنوات قضيتها رئيساً للمفوضية البريطانية هناك ، وكان رحيلى باعثاً على الأسى .

وهآنذا سنة ١٩٤٦ أغادر مصر بعد اثنتى عشر عاماً وأنا أشعر بمزيد من الأسى .

٢ وصلت الصين وكان ذلك فى فترة خدمتى الثانية هناك فى أكتوبر ١٩٢٦ . وكانت ثمة موجة من الشعور الوطنى المناهض لنا باعتبارنا القوة الأجنبية الرئيسية .

وحين غادرت الصين فى يناير ١٩٣٤ كان التعقل قد ساد . . والموجة تحول مسارها ، مما مكن بريطانيا العظمى من استعادة مكانتها السامية مع كل رجل من رجالات الحرب الصينيين ، ومع كل حزب سياسى هناك .

كنا على صلة ودية مع الكومنتانج ومع الحزب القومى ، الذى يحكم البلاد فى ذلك الوقت ، ويضمر لنا بصفة خاصة مشاعر العداء الشديد ، وكان ذلك درساً لا يقدر بثمن فيما يتعلق بأسلوب اكتساب صداقة حركة وطنية قوية .

٣ – فى يناير ١٩٣٤ وصلت إلى مصر ، دون أن تتوافر لى معرفة سابقة ولا آراء تنحاز إلى هذا الجانب أو ذاك ، على الصعيد المحلى .

وبهذا كانت مشكلتى شبيهة بتلك التى طرأت فى الصين سنة ١٩٢٦ .

وتوجد فى مصر أيضاً تلك الموجة الوطنية القوية ، وإن كانت قد اتخذت شكل حركة مناهضة للبريطانيين بشكل خاص ، فضلا عن أن مصالح بريطانيا كانت ذات طبيعة – أكثر إلحاحاً عنها فى الصين – بسبب موقع مصر الجغرافى على طريق المواصلات إلى أنحاء الكومنولث البريطانى .

ومع ذلك كانت العقدة متماثلة فى البلدين ، وإن كان أسلوب سياسة الأمور مختلفاً ليناسب طبيعة كل منهما وشكل احتياجاتنا فيه .

فى الصين كان المرء يكتفى بالمشاهدة . . يكتفى بالفرجة . . وإن كان مهتماً بما يدور .

أما فى مصر فشاء القدر أن يحول بينى وبين تلك السلبية ، لأن مصر حلقة أساسية من حلقات الأمن البريطانى على الصعيد العالمى .

٤ ماذا كان الوضع وقتئذ ؟

كان الملك فؤاد يتربع على عرشه ، وكان ملكاً داهية لا أخلاق له ، ولكنه كان حاكماً يعرف فى نهاية الأمر من أين تؤكل الكتف .

كان يتحامل أحياناً على البريطانيين .

لكنه كان واعياً تمام الوعى بأن ضمان عرشه يقع فى أيدى البريطانيين وتأييدهم على كل حال .

وكان الوفد فى حال من العداء للملك فؤاد ، ولنا – أى البريطانيين – باعتباره الحزب الشعبى الوطنى الذى تعهد بالحصول على استقلال البلاد .

ومن هنا ألقيت نفسى بإزاء كرسى ذى ثلاثة قوائم : الملك فؤاد ، والبريطانيين ، والوفد .

وكان بوسعنا حين تسوء الأمور أن نعتمد على الملك فؤاد ليتحدى الوفد ، ويقمعه أحياناً بشأن سياسته العنيفة المناهضة لبريطانيا . . أى سياسة المطالبة بالاستقلال .

٥ – عندما وصلت إلى القاهرة لم تكن ثمة صلات شخصية بين المندوب السامى البريطانى والقائم بأعمال المندوب السامى ، وبين الوفد ، على امتداد سنوات عديدة . فى حين أن الوفد كان فى ذلك الوقت حزب الأغلبية .

٦ – وكان واضحاً أن ذلك ليس بخطة صحيحة . . وحين وجهت الدعوة إلى جميع قادة الأحزاب السياسية لحضور حفل أقمته فى السفارة باعتبار ذلك أسلوباً أتحسس من خلاله – طريقى ، فإنى لا أزال أذكر جيداً ماوجهه إلىّ الملك فؤاد من لوم ، بسبب ماسماه بالمحاولة العقيمة التى أبذلها لنقل المناهج البريطانية إلى مصر نقلا أعمى يجمع الأحزاب كلها على صعيد واحد .

واستمرت هذه الأزمة السياسية باستثناء العلاقات الأفضل التى أمكن للسفارة أن تقيمها مع سائر الأحزاب السياسية .

وحين أقدم موسولينى على القيام بمغامرته فى الحبشة أحدث ذلك أثره القوى فى نفوس الزعماء السياسيين المصريين ، لدرجة أنهم اتفقوا فى ظل حكومة على ماهر على الائتلاف معاً .

وقامت – لأول مرة – جبهة وطنية تولت أمر المفاوضة حول معاهدة لم نكن نرغب فى إتمامها فحسب ، بل كان ذلك أمراً تحتمه طبيعة الأمور .

وأسجل للملك فؤاد أنه لم يصل إلى هذا الإنجاز فحسب . بل إنه شجعه ، وجعله حقيقة واقعة . وكان ذلك آخر ما فعله فى عهد حكمه .

وكانت النتيجة معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا فى سنة ١٩٣٦ ، التى لعب فيها الوفديون – أعداؤنا بالأمس – الدور الرئيسى قلباً وقالباً تحت قيادة النحاس باشا .

٧ – بعد ذلك توفى الملك وتولى مكانه ابنه الملك فاروق وهو صبى لم يكتمل نضجه .

٨ – وقد لاحظت أن أباه الملك فؤاد برغم كل أخطائه كان يعرف أين تقع مصلحته . . وفى أى جانب .

ومن سوء الحظ أن الابن لم يكن جاهلاً بذلك فحسب ، بل كان لا يعرف من أين تهب رياح المصلحة من أساسها .

كان صغيراً لم يعرف النضج .

وكان واقعاً تحت سيطرة على ماهر .

ومما زاد فى المأساة – ولايد لفاروق فى ذلك – أن (على ماهر) استدعاه بعد وفاة والده ، وقطع دراسته فى إنجلترا قبل أن يجنى من هذه الدراسة أية فائدة ولكنه أساء توجيهه .

ولم يطل الوقت إلا وقد أقنع على ماهر سيده الصغير بإقالة حكومة الوفد فى أواخر عام ١٩٣٧ .

وأعقب ذلك وزارة محمد محمود باشا الذى حاول – بلا جدوى – أن يحكم حسب أصول اللياقة والدستور ، فى مواجهة تدخل وتعسف لا ينتهيان من جانب القصر ، حتى اضطرته السراى إلى الخروج من الحكم . واستبدلته بعلى ماهر باشا ، الذى جاءت على إثره تقريباً كارثة الحرب الأخيرة .

وقد اتخذت حكومة على ماهر موقف البرود ، وتبنت موقف الحياد ، الأمر الذى لم يكن يتنبأ به قطّ أى من الأطراف التى وقعت المعاهدة .

وحقيقة أن هذا الموقف من الحياد الكريم كان يناسبنا . لكنه سرعان ما كشف عن موقف فكرى سيئ من جانب مصر . . موقف من الجبن المعنوى تطور مع تحول ميزان الحرب ضدنا ليصبح سياسة متعمدة من التواطؤ مع العدو .

وكان لابد من إعادة النظر فى هذا كله . .

كان لابد من التخلص من على ماهر باعتباره رأس البلاء لكنه كان قد ألحق بنا ضرراً بالغاً . وكانت أعمال الطابور الخامس والقوى الانهزامية تحظى بما هو أكثر من التشجيع والتسامح من جانب السراى .

٩ – وأخيراً – وبعد وصول روميل إلى أبواب مصر – وتزايد الاتجاهات الانهزامية خارجها كان لابد من اتخاذ تدابير حازمة ومن دعوة حكومة تتولى أمور البلاد – حكومة لا تتمتع فحسب بتأييد الشعب ، بل تتصف أيضاً بعزيمة تدفعها إلى تأييد بريطانيا العظمى تأييداً مخلصاً كما تقضى بذلك المعاهدة .

وتمت مواجهة الأزمة بعد ذلك بوقت قصير .

وتم تجاوزها بعد انتصار العلمين الذى كان مثل عقار قوى وفعال .

بيد أن ذيول حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ظلت موجودة ، حتى أن الوفديين ، بعد سنتين من حكم قاصر فاسد ، سلموا رءوسهم على طبق للملك فاروق ، وتم إخراجهم من الحكم .

١٠ – وتولى أحمد ماهر الأمور ، وساد بين الجميع الشعور بأنه السياسى الوحيد القادر على تسيير دفة الأمور بالدولة بشكل مستقر .

لكن القدر تدخل حين اغتيل أحمد ماهر بيد قاتل متعصب فج بسبب إعلانه الحرب على المحور ، بغية اكتساب مبررات عضوية الأمم المتحدة .

١١ – وتدهورت الأمور برحيل أحمد ماهر .

كان خليفته النقراشي هو الرجل الذى عيته السراى بشكل سافر .

وتعمقت بذلك هوة الخصومة بين الوفد والقصر ، وبعد أن كان انقلاب السراى الذى دبرت به خلع الوفد وتثبيت أحمد ماهر فى الحكم قد فشل ،

وأصبح التغيير مسألة وقت لا أكثر ولا أقل بعد هذا الفشل .

وحدث ذلك فى الشهر الماضى حين بدأت الأمور تخرج من يد من يمسكونها بسبب قضية إعادة النظر فى المعاهدة .

ووجد صدقى باشا نفسه وهو أفسد رجال الدولة من المصريين – وربما أكفأهم أيضاً – وقد استدعى لتولى الحكم .

١٢ – كان هذا بإيجاز السياق الذى سارت فيه الأحداث .

١٣ – فى نفس الوقت ، ومع النهاية الظافرة للحرب ، تغير الأسلوب البريطانى ، فما كان يعتبر أمراً شرعياً وأساسيًّا لقمع العدو لم يعد يتفق والعصر الحاضر .

تم تشكيل وإعلان مبدأ عدم التدخل فى السياسة المصرية .

وتعين على الممثل البريطانى أن يظل بمنأى عما يحدث ، ويترك المنازعات الداخلية والمشاجرات السياسية تأخذ مجراها ، باعتبارها لا تدخل فى نطاق مصالحنا المباشرة .

١٤ – تلك نظرية مقنعة ومبهجة – لكن أهى ممكنة على المدى الطويل ؟

إن مصر لاتزال تحتل نفس الموقف الجغرافى .

ولا تزال تقع فيها قناة السويس ، ومنها إلى مواصلات الإمبراطورية .

وفضلا عن ذلك فإن الشرق الأوسط اكتسب المزيد من الأهمية السياسية والاستراتيجية أكثر من ذى قبل . . والجامعة العربية ولدت وتلوح عليها أمارات من النمو والنشاط لم تكن فى الحسبان .

ومن هنا فإن القعود والبقاء – بكل فخر – بمنأى عن السياسة الداخلية المصرية أمر فى منتهى الجاذبية من الناحية النظرية ، ويظل فى ظل الظروف العادية خطة سياسية سليمة لا يمكن الجدل حولها .

ولكن إلى متى يظل ذلك ممكناً ومصر تحتل الموقع الذى ظلت تحتله على طول الزمن ؟

هل بوسعنا أن نسمح لمصر أن تنفسخ وتتدهور بمقتضى إرادتها وأهوائها ؟

هل بمقدورنا أن نبقى بعيدين ، وفى حالة الضرورة القصوى نسمح لأى قوة أخرى أن تحل محلنا ؟

باختصار هل سنسمح بأى تقلص فى السيادة التى نتمتع بها ؟
ومع احترامى لكل الاعتبارات فإنى أشك فى ذلك .

١٥ - إننى أغادر مصر . . وآسف إذ أسجل أن الوضع الداخلى فى رأيى لم يكن أسوأ مما هو عليه .

ولن يقدر لى أن أعالج الموقف بعد ذلك ، ولا أن أتناول مهمة تعديل معاهدة ١٩٣٦ لتتلاءم مع المصالح القومية المصرية والموقف الدولى فى فترة ما بعد الحرب – تلك المعاهدة التى جعلتنا نقف على أرضية ثابتة خلال الحرب .

وأعترف أن هذه الحقيقة يفوح منها عبير الندم ، لأنى أعتقد أنك إذا كنت فى الشرق وتحمل بندقيتك معبأة بالبارود فليس من طبيعة الأمور أن تفرغ البندقية من شحنتها .

أقول ذلك وقد توفر لى القدر الكافى من المعرفة النظرية والعملية .

١٦ – بقيت عدة حقائق :

(ا) ليس بوسع بريطانيا العظمى أن تصرف نفسها تماماً ، على المدى الطويل ، عن الاهتمام بالشئون الداخلية فى مصر .

إن المشاركة شىء عظيم ، لكن الطبيعة حتمت وجود شريك أعلى من شريك .

(ب) إن الشعب المصرى شعب لطيف ودود لكنهم كالأطفال من نواح عدة ، فهم بحاجة إلى يد تقودهم على الطريق . . يد قوية عادلة . . إن الشعار الصالح لمصر كما هو بالنسبة للصينيين « الحزم والعدل » .

(جـ) إن الانقسام الحالى بين القصر وبين حزب الأغلبية (الوفد) ينذر بالأخطار . .

(د) إن العاهل الحالى (فاروق) يسبق سنه من نواح متعددة . لكنه حقود مثل والده . وتقدم له المشورة سيئة ، ويعانى من قصر النظر فى أمور السياسة .

وكان العرش ينظر إليه باعتباره أرسخ عناصر الاستقرار فى البلاد إلا أن مركز العرش تعرض للاهتزازات بسبب سياسة الملك فاروق فى التدخل بطريقة سافرة فى السياسات الحزبية ، ومحاولة الملك منافسة الوفد فى استمالته الديماجوجية لعناصر الفوضى ، التى تعززت قوتها ، بالاستمالة التى تأتى ، من الجانبين .

إن هذه العناصر يتلاعب بها أيضاً عملاء الشيوعية .

ونتج عن ذلك أن كثيراً من تلك العناصر الفوضوية انغمست فى أعمال عنف تستهدف الملك نفسه .

إن الظروف المعيشية قاسية فى مصر . ولم تفعل حكومة الملك شيئاً لإيجاد حل ملموس

للتخفيف من وطأتها ، برغم ما صدر عن الملك من تصريحات أفلاطونية كثيرة عن الإصلاح الاجتماعى .

وهذه الظروف يستغلها بطبيعة الحال عملاء الشيوعية فيخلطون بينها فى ذهن جماهير الشعب وبين الغايات الوطنية .

وعلى هذا فإن العرش يحدق به صراع اجتماعى ووطنى ، لا يجد أحد له نهاية ، اللهم إلا تلك الأخطاء البالغة ، التى بات من الواضح أنها تهدد العرش .

ومن هنا فإن من الواجب حث جلالته فى كل مناسبة ممكنة على أن يتصالح مع المعارضة وأن يعامل جميع الأحزاب السياسية على قدم المساواة . وأن يشجع الرأى العام على أن يقول كلمته بدلا من النظام الراهن ، الذى يقوم على انتخابات مزيفة ، وحكومات مفروضة من جانب السراى .

وإذا لم يحدث ذلك فسيكون الانفجار على العرش نفسه ، وهو أمر يهم ، بالتأكيد وبنفس القدر ، السياسة والمصلحة البريطانية ، وقد يفرض تدخلا بريطانيًا واسع النطاق .

١٧ – أكتفى بهذا القدر من أنشودة الوداع ، أما هذه الأفكار المبعثرة التى حاولت تسجيلها بين فترات حزم حقائبى فلو قدر لها البقاء لتصبح ذات فائدة فى بلدى أو بالنسبة لمن يأتى من بعدى فى منصبى – حينئذ تكون هذه الأفكار قد حققت غايتها » .

* * *

وتصدق تنبؤات كيلرن . . بعد ست سنوات . . عندما تقوم الثورة عام ١٩٥٢ فتطيح بالعرش والأحزاب والنظام كله .

ولم تستطع بريطانيا الإبقاء على التوازن بين الملك والأحزاب السياسية المصرية . وأصبح النظام الديمقراطى الذى بدأ عام ١٩٢٤ لعبة يتسلى بها الملك ليحكم حكماً مطلقاً ، أو تتخذها الأحزاب سبيلا للوصول إلى الحكم .

ولكن دور كيلرن قد انتهى فى مصر .

سافر كيلرن إلى جنوب شرق آسيا ليبقى هناك عامين . . المدة المقررة من قبل .

وفى سنة ١٩٤٨ يعرض عليه منصب الحاكم العام لشرق باكستان ، ويتردد كيلرن فى قبول المنصب . . ويستشير اللورد مونتباتن الحاكم العام للهند . . وأخيراً يعتذر كيلرن عن قبول المنصب . . وكان يومها فى الثامنة والستين .

ويحال اللورد إلى المعاش ، ليصبح عضواً فى مجلس إدارة بعض الشركات البريطانية .

ويتنقل كيلرن بين دول الشرق الأقصى ، ولكنه لا يستطيع أن يطأ بقدميه أرض مصر مرة

أخرى ، فقد ترك فيها خصومات . . وعداوات شتى .

ويلتقى كيلرن بسوكارنو ، وشيانج كاى شيك ، والإمبراطور هيروهيتو ، ويتحدث معه باللغة اليابانية التى لا يزال يذكرها .

وفى سنة ١٩٥٦ يتكلم كيلرن فى مجلس اللوردات عن مصر . . وكان إيدن أيامها رئيساً لوزراء بريطانيا . . والاثنان تجمعهما العداوة لمصر .

إيدن يحارب مصر بقواته مع فرنسا وإسرائيل . . وكيلرن يؤيده فى مجلس اللوردات ، مطالباً بتعويضات للرعايا البريطانيين الذين أممت مصر ممتلكاتهم .

ويعتزل كيلرن العمل فى مجالس الشركات فى سن السبعين ، ولكنه يظل محتفظاً بصحته وبقواه حتى يمرض ويموت يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٤ وهو فى الرابعة والثمانين من عمره .

ويشهد كيلرن قبل وفاته زواج ثلاثة من أولاده الذين رزق بهم من زوجته الأولى ، كما يرى ثلاثة من حفدته ، وتعيش بعده زوجته الثانية جاكلين ، فالفارق فى العمر بين الزوجين كان كبيراً . . ولكن فضائح جاكلين تطل بعد عشر سنوات ، عندما يعلن فى صحف لندن أنها اتخذت صديقاً يقيم معها فى قصر اللورد ! .

DEPARTMENT OF STATE

INCOMING TELEGRAM

DIVISION OF COMMUNICATIONS AND RECORDS

FMH-610
This telegram must be closely paraphrased before being communicated to anyone. (CONFIDENTIAL)

Cairo

Dated October 9, 1944

Rec'd 9:21 a.m., 10th

DIVISION OF TERRITORIAL STUDIES
OCT 13 1944
DEPARTMENT OF STATE

DEPARTMENT OF STATE
OCT 1944
DIVISION OF NEAR EASTERN AFFAIRS

Secretary of State,

Washington.

US URGENT

3038, October 9, 6 p.m.

FOR WALLACE MURRAY

This morning I called on the British Charge d'Affaires Mr. Terence Shone, to obtain his reactions to the present political situation. (Re my 3035 October 9, 11 a.m.). The Oriental Secretary Sir Walter Smart was also present. Shone stated that the selection of Ahmed Maher Pasha as Prime Minister was acceptable to the British Government on certain definite conditions which would include his full adherence to and support of the 1936 treaty. The British Government he informed me had raised no objections to the appointment and would support the Prime Minister as long as his Government created no difficulties for the British in the pursuit of the war effort. Shone appeared to think that a change in Government would relieve the present political

situation

883.002/10-944

CS/D 883.002/10-94

situation and that it would certainly put an end to the altogether unsatisfactory situation which has hitherto existed between Nahas Pasha and the King. The Oriental Secretary believed that the new Government will in all probability be a coalition of all the non-Wafdish parties and independents. He anticipates that Parliament will be dissolved sometime in November and that new elections will be held which will probably do away with the overwhelming majority now enjoyed by the Wafd party in the Chamber of Deputies.

Both men referred to Ahmed Maher Pasha's political past recalling that he was at one time in open opposition to the British the new Prime Minister is now believed to favor Anglo-Egyptian solidarity. Furthermore he stood out as the only Egyptian minister openly to advocate Egypt's participation in the war on the side of the Allies.

New cabinet being received at the Palace this afternoon. When its make up is definitely announced I will report fully on its political composition.

TUCK

CSB

وثيقة أمريكية عن اللقاء بين الوزير الأمريكى المفوض والوزير البريطانى المفوض .. وموضوعها تأليف وزارة أحمد ماهر .. وسعادة الإنجليز بهذه الحكومة الجديدة

PUBLIC RECORD OFFICE
Reference: F.O 371 45919 4632
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

DEPARTMENTAL No.1.

[MR CLAIR]

J 974

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Lord Killearn.
No.50. Saving
6th March, 1946.

D: (By bag) 6th March, 1945.
R: 4.55 p.m. 12th March, 1945.

" " " " "

J 925/112/16 not submitted

CONFIDENTIAL

Abboud, who called this morning about Assuan scheme (see my telegram No.521) spoke at considerable length about internal political situation consequent upon the death of Ahmed Maher.

2. Abboud was of course a particular friend and confidant of late Egyptian Prime Minister with whom he had for years past had the closest ties and for whom he had the greatest admiration. And his views are doubtless tinged in favour of the late in contrast to the new Egyptian Prime Minister. Nevertheless his views on Nokrashi tally so largely with what I fear may be true that they seem worth recording.

3. Abboud evidently mistrusts Nokrashi completely. He was brought up a school-master and his mentality and methods remain those of the school-master he originally was. In contrast to the late Prime Minister Nokrashi is lacking in all suppleness and elasticity. He has no following in the country and no popularity. Ahmed Maher, whilst most determined and anxious to guide and serve King Farouk in the best interest of the country, had the necessary convictions and courage to stand up to the Palace in case of need. Nokrashi was lacking in both. He would prove to be a creature of the Palace: indeed that was his only means of retaining office. Cabinet would now be at sixes and sevens. Nokrashi hardly on speaking terms with his Minister of Finance (Makram) and at loggerheads with Bedawi who was now being offered Ministry for Foreign Affairs - a post for which (though a good friend and indeed legal adviser at £2,000 a year to Abboud) he had no real qualifications.

4. In short Abboud Pasha takes the gloomiest views of the outlook and does not see how Nokrashi Pasha can last. He feared that we should find him a difficult, petty, and cantankerous customer to deal with.

5. As you are aware this tallies only too well with my own preliminary estimate. We can only hope that the responsibility of the presidential chair may work a cure in his natural defects. But I confess I am not sanguine - and I much doubt if anyone else is.

6. Abboud also spoke of the tendency of the Palace to play off America against us. Of this he claimed to have ample proof.

7. I told him not to be unduly worried. I did not believe the Americans were in the least disposed - at any rate on the higher levels - to be misled by anything so obvious. We had a predominant position in Egypt which we had certainly no intention whatever of abdicating.